# مادة «الصنع» في القرآن الكريم

# (دراسة دلالية سياقية)

إعداد

**د. سعود فهيد سعود العجمي**

الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

Saoud-Alajmi@hotmail.com

## الملخص بالعربية

تناولت هذه الدراسة موضوعاً من الموضوعات المشتركة بين اللغة والقرآن الكريم، وأكدت العلاقة الرابطة والحبل المتين بينهما؛ لتظهر لنا أحد معالم الإعجاز ومشاربه في القرآن الكريم، كما بينت أن اللغة العربية هي المفتاح الشرعي لتفسير كلام رب العالمين، فقامت الدراسة بتتبع أحد المصطلحات القرآنية، ومحاولة رصده من المهد وصولاً إلى الكهولة، وفق التطور الدلالي للمصطلح الدال على إجادة العمل وإتقانه؛ لتقرر أن اللغة العربية كائن حي يطرأ عليها ما يطرأ على الكائنات من تطور ملحوظ، كما أنها أبانت علاقة المصطلح بغيره من المصطلحات ذات الصلة، فأخذت تطوافة سريعة حول المادة، فتوصلت إلى أن القرآن الكريم كعادته أحسن توظيف مادة «صنع» بما يثري العلمية التفسيرية لكتاب الله تعالى باعتبارات لغوية وموضوعية، ووقفت الدراسة على خصائص عديدة للاستعمال القرآني، كما أن الدراسة -بعد معرفة دلالة المصطلح- استطاعت أن تدفع به وهم خلاف التضاد بين المفسرين، والجمع بينهم دون صعوبة، وأنه من جنس خلاف التنوع لا التضاد، كما أكدت الدراسة أن للقرآن الكريم استعمالات خاصة وتصاريف، والذي بدوره أثرى اللغة العربية ووسع مجالاتها، وخلُصت الدراسة ببيان أن القرآن الكريم ما زال بكراً يستوعب الدراسات الحديثة والتي منها دراسة المصطلحات القرآنية الأخرى أسوة بهذه الدراسة وما قبلها من الدراسات الأخرى.

## المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الطَّوْلِ وَالْآلَاءِ حمداً طيباً أَبَداً، وَصَلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ تماماً دَائِماً سَرْمَداً، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأصفياء الْأَتْقِيَاءِ ما حلَّ ظلام أو تبددا.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ شَرَفَ الْمَطْلُوبِ بِشَرَفِ نَتَائِجِهِ، وَعِظَم قدره بِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَبِحَسَبِ مَنَافِعِهِ تَجِبُ الْعِنَايَة بِهِ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِنَايَةِ بِهِ يَكُونُ اجْتِنَاءُ ثَمَرَتِهِ، وَأَعْظَمُ الْأُمُورِ خَطَراً وَقَدراً وَأَعُمُّهَا نَفْعاً وَرِفْداً مَا اسْتَقَامَ بِهِ أمر الدِّينُ وَالدُّنْيَا وَانْتَظَمَ بِهِ صَلَاحُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ لِأَنَّ بِاسْتِقَامَةِ الدِّينِ تَصِحُّ الْعِبَادَةُ، وَبِصَلَاحِ الدُّنْيَا تَتِمُّ السَّعَادَةُ.

والقرآن الكريم هو مرجع هذه الأمة الذي أودع الله فيه لمن اهتدى بهديه أسباب السعادة ومكمنها، وبغية الآمال ومهجتها، كله ينطق بقدرة الله وتفرده ، ويشهد لعظمته تعالى وصمديته، سلسلة محكمة النسج والسرد يشبه بعضه بعضاً قوةً ورصانةً وكمالاً، ولما كان ذلك كذلك، استخرت الله تعالى أن أقدّم دراسةً لمصطلح ومادة الصنع في القرآن الكريم وفق منهج الدلالة السياقية؛ بغية الكشف عن مفهومه في النسق القرآني الفريد، إذ هو مصطلح تردد ذكره في العديد من المواطن في القرآن الكريم بصيغ متعددة، وكان للسياق في تحديد هوية هذا المصطلح الأثر الكبير والفتح العميم، مما يعكس أهميته ويوضح محوريته في نسق المصطلحات القرآنية.

ولا شك أن البحث في دلالات القرآن الكريم، والوقوف على مراد الله تعالى بتفعيل دور السياق في توجيه المعنى، والاستدلال على هداه بما أتيح من أدوات، أمر يستوجب الحذر، ويجعل الباحث دوماً على يقظة من أمره؛ خشية أن يحيد بالمصطلح إلى غير مراد الله فنسأل الله ألا تزلّ أقدامنا ولا أقلامنا.

لذا هيأت نفسي لهذا العمل الجليل، مستمداً العون من الله تعالى فهو نعم المعين والمجيب، راجياً منه الرضا والقبول، وراحة النفوس وانشراح الصدور.

**أهمية البحث:**

**وتكمن أهمية البحث في جملة نقاط منها:**

**١.** تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم، إذ شرف العلم بشرف متعلقه.

**٢.** نظرية الدلالة السياقية من أهم أدوات التفسير وبساتينه، التي بها نقف على معاني ألفاظ القرآن الكريم، وحروفه، وجمله، ومقاطعه، وسوره.

**٣.** غياب الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع وفق منهج الدراسة الدلالية السياقية.

**٤.** مادة» صنع» في القرآن الكريم من المصطلحات المحورية في فهم مراد الله تعالى من كتابه وكلامه، من حيث تعلقها والمراد منها واستعمالاتها، وتضمينها معاني أخرى.

**٥.** المساهمة في فهم متجدد لنصوص القرآن الكريم التي ورد بها مادة « الصنع»من خلال ما أفضى إليه البحث من نتائج، عبر إعمال خطوات منهج الدراسة الدلالية السياقية.

**دوافع البحث:**

لعل من أهم دوافع البحث هو محاولة الاستفادة من منهج الدلالية السياقية، وإعمال خطواته المنهجية للتعريف بمادة الصنع في القرآن الكريم، خصوصاً وأن هذا المنهج يسعى لاعتماد العلمية بشروطها في الوسائل، استيعابا وتحليلا وتعليلا وتركيبا في إطار من النظرة الشمولية التي تخدم كتاب الله حسب الطاقة البشرية.

**صعوبات البحث:**

تكمن صعوبات الدراسة في ضبط منهج الدراسة المصطلحية في إطار الدلالة السياقية واستيعابها، ومن جهة أخرى من حيث دراسة مصطلح قرآني متشعب الدلالات، كثير السياقات، ألا وهو مادة» الصنع» في القرآن الكريم؛ لذلك كانت الحيطة واجبة، والأناة لازمة، فالنص القرآني له خصائصه ومميزاته التي يجب استحضارها.

وقد واجهت في البحث الجِدّة في استنباط الدلالات، فالأمر ليس سهلاً أن أجزم بمراد الله تعالى من الآيات؛ فالرهبة والخشية لازمتني طوال البحث، وعذري في ذلك أنه اجتهاد مني بعد محاولة اعتمادي المنهج العلمي في البحث، وعذري بأن مرادي ومنتهى مبتغاي الوقوف على مراد الله تعالى.

**إشكالية البحث**

يهتم هذا البحث بمصطلح « الصنع» في القرآن الكريم، ويهدف ببيان حقيقة مفهومه من خلال كل النصوص القرآنية التي ورد فيها دراسةً تاريخيةً، وبيان إشكالياته وفق الآتي:

- ما مفهوم مصطلح «الصنع» ؟
- ما دلالات مصطلح «الصنع» في القرآن الكريم وتطوراته السياقية ؟
- ما تلك المعاني الجزئية التي حملتها الآيات القرآنية التي ورد بها المصطلح ؟

- ما أثر معرفة دلالة مصطلح «الصنع» في توجيه أقوال المفسرين ؟

**أهداف البحث:**

- تبين وبيان مفهوم مصطلح الصنع.
- الوقوف على دلالات مصطلح الصنع وتطوراته السياقية.
- معرفة المعاني الجزئية للمصطلح في الآيات القرآنية.
- بيان أثر معرفة دلالة المصطلح في توجيه أقوال المفسرين.

**الدراسات السابقة:**

بعد البحث في المكتبات الجامعية، والمراكز البحثية، والشبكات العنكبوتية تبين للباحث بحسب تنقيبه واطلاعه أنه: لا يوجد دراسات علمية أكاديمية سابقة تناولت ذات الموضوع والمنهجية والتطبيق، وإنما بعض الجوانب المتعلقة بهذه الدراسة من حيث الصلة بالفن، وهي على نوعين:

**أولاً: الدراسات النظرية:**

وهي الدراسات التي تناولت الفن من حيث التأصيل والتنظير بشكل خاص، وبيانها وفق الآتي:

- **علم الدلالة بين العرب والغربيين**، د.محمد بصل وآخرون، بحث منشور، مجلة جامعة تشرين، ٢٠٠١م:

**التعليق على الدراسة:**

وهذا البحث تطرق إلى مفهوم الدلالة وفق النظرة اللغوية فقط بين العرب والغرب، وكذلك في مواطن الاتفاق والاختلاف بين دلالات العرب والغرب، وفي بيان جهود الغربيين الحديثة في خدمة الدلالة، ولم يتطرق الباحث لتسليط الضوء على القرآن الكريم ومصطلحاته عموماً، فضلاً عن أحد مصطلحاته الخاصة أو استعمالاته.

- **المصطلح اللغوي والمصطلح القرآني: دراسة مقارنة في المفهوم والأسس**، عدوية حياوي الشبلي، بحث منشور، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ٢٠١١م.

**التعليق على الدراسة:**

وهذا البحث تطرق إلى دراسة المفاهيم من حيث الوضع اللغوي والتطور الدلالي، من خلال النظر إلى العلاقة بينهما، وبيان نوع الظاهرة التي طرأت على المصطلح من تغيير أو انتقال ونحو ذلك، وهذه

دراسة تأصيلية منهجية عامة في الدلالة، بيد أنّ الدراسة التي جئتُ بها مختلفة عنها إذ إنها تناولت أحد الأمثلة التطبيقية «مصطلح لصنع» لتفسير هذه المنهجية ورصدها رصداً تطبيقياً وفق المنهجية العلمية، وركزت على مشاربها المتنوعة ذات الصلة وفق السياق القرآني.

**ثانياً: الدراسات التطبيقية:**

- مصطلح الأعراب في القرآن الكريم: مفهومه ودلالته، منجد محمد أبوبكر، مجلة جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٦م.

- مصطلح الملجأ في القرآن الكريم: دراسة موضوعية دلالية، هلا نايف المشاقبة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، ٢٠٢٠م.

**التعليق على الدراسة:**

وأنت أيها القارئ الكريم كما ترى من ظاهر هذين البحثين في الدلالة التطبيقية من كونها تناولت الشق الموضوعي التطبيقي لمصطلح واحد من مصطلحات كثيرة وبعيدة عن مشابهة مصطلح الدراسة، وقد شجعت هذه الأبحاث في الدخول والاقتطاف من بساتين المصطلحات الأخرى منها مصطلح هذه الدراسة.

**منهجية البحث:**

اعتمد هذا البحث خطوات منهج الدراسة المصطلحية، لتعريف مصطلح الصنع في القرآن الكريم، وذلك لما يحويه هذا المنهج من إجراءات وضوابط تحليلاً وتعليلاً، منضبطة بروح المنهج الوصفي مع لمحة تاريخية خاصة، ولا شك أن كل ذلك له ثمرات تأتي بها خطوات مرحلة التوضيح والتبيين، وانطلاقاً من المصطلح ذاته بعد تحليله في سياقه بهدف ضبطه واستخراج المعاني التي يوحي بها السياق، وقد ركّز البحث على المنهجين التاليين:

**الاستقراء:** من خلال استقراء الآيات القرآنية، والمعاجم الأصيلة، والأشعار العربية.

**الإحصاء:** عمل جداول بيانية وإحصائية في لبيان الفروق الدقيقة بين دلالات المصطلح.

**التحليل:** من خلال إمعان النظر في المادة العلمية، واستخلاص أصولها وفروعها، وجذورها وثمارها.

**الاستنباط:** القيام باستنتاج واستخلاص العناصر الدلالية واستعمالاتها بين دلالات المصطلح، ومعرفة أثرها على أقوال المفسرين.

**خطة البحث:**

**هذا وقد جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين على النحو التالي:**

**المقدمة** وفيها: أهمية البحث ودوافعه ومنهجه وصعوباته وأهدافه وغيرها.

**المبحث الأول جاء بعنوان: الدراسة الدلالية لمادة» صنع» وفيه عدة مطالب:**

المطلب الأول: التعريف الدلالي لمادة» صنع».

المطلب الثاني: الدلالة الاصطلاحية.

المطلب الثالث: الفرق بين الفعل والعمل والصنع.

**المبحث الثاني: وجاء بعنوان: الدراسة السياقية لمادة «الصنع» في القرآن الكريم. وفيه عدة مطالب:**

المطلب الأول: استعمال القرآن الكريم لمادة الصنع.

المطلب الثاني: خصائص مادة الصنع في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أثر معرفة دلالة مادة « الصنع» في توجيه أقوال المفسرين.

ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

# المبحث الأول

## الدراسة الدلالية لمادة «صنع»

استعرضُ في هذا المبحث التتبع الدلالي لـ مادة الصنع وعلاقته بغيره من الألفاظ ذات الصلة من حيث الدلالة المعجمية فالصوتية فالاصطلاحية، وقوفاً على أصل المادة، وعلاقتها بغيرها، ومراحل تطورها، وخصائصها. وليعذرني القارئ الكريم من حيث حجم البحث، فلو كان المقام متسعاً لأدرجت تمهيداً في التعريف بالدلالة وأنواعها، وفي كلٍّ خير، وبيان هذا المبحث وفق الآتي:

**المطلب الأول: التعريف الدلالي لمادة « صنع».**

اتفقت المعاجم اللغوية[١] على أن مادة «صنع» أصل بذاته وليس منقلباً من أصل آخر، والفعل الثلاثي منه: صَنَعَ، ومصدره: صُنْع.

وأصل الوضع جاء في عمل اليد؛ بدلالة اسم الفاعل والمفعول، فالصُّنَّاع: الذين يعملون بأيديهم، وما يُخرجونه هو المصنوع، كما أنّ الصناعة: هي الحرفة[٢]؛ كونها جاءت على وزن فِعالة الدال على الحرفة، وتقول: مصانع، وهو ما يصنع من بئر أو غيره[٣]، والأصل في الحرفة ما يكون فيها عمل اليد، ومثل لها الخليل والأزهري[٤] بالخشبة التي تتخذ في حبس الماء، وهذا من جنس عمل اليد، وفي هذا يقول ابن

(١) ينظر: الخليل الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت١٧٠هـ، معجم العين، ت: د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال، (٣٠٤/١). وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٣١٣/٣). والزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي ت٥٣٨هـ، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ، (٥٦٠/١). والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ، (١٧٩/١). وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط الثالثة - ١٤١٤هـ، (٢٠٨/٨).

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي ت ٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م، (٢٤/٢).

(٣) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣/ ٣١٣).

(٤) الخليل، معجم العين، (١/ ٣٠٤). والأزهري، تهذيب اللغة، (٢/ ٢٥).

دريد: «كل محترف بيده صانع»[١]، واطلق ابن السكيت على معنى مادة الصنع: «الرفق بالعمل»[٢]، وهذا ما يُفهم من معنى ما صدّره ابن فارس في حديثه عن هذه المادة[٣] إذ يقول:»صنع: صنعت الشيء صنعاً، ورجل صنع اليد، وامرأة صناع»[٤]، وهذه كلها معانٍ حسية.

فيتبين مما سبق أنّ أصل المادة دلّت على عمل اليد على وجه الدقة والخبرة.

**العلاقة بين الدلالة الصوتية واللغوية لمادة الصنع:**

إذا تأملنا لفظة "صنع" نجد أن لها تعلقاً كبيراً بالصوت الذي يُخرجه الصانع من صنعته، وأبرز ما يتضح ذلك في: حرفة الحدادة، فالحداد صانع، وفي صنعته هذه يخرج منها صوت شبيه بأصل المادة، ابتداءً من (صن)، وكذلك النجارة في ضربه بالمطرقة، وغيرها من الحِرف، ولعل هذه الدلالة تتوافق ما جاء مسبقاً من أنّ أصل المادة وُضعت في حرفة اليد، وهذا ما يطلق عليه ابن جني: "مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث"[٥]. ولا يخفى أن الحرف الرئيس لكلمة « صنع» هو حرف الصاد، ومن صفاته أنه من حروف الصفير، والصفير صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق به[٦]، وهو أيضا من حروف الإطباق، وهو انحصار الصوت لانطباق اللسان عند النّطق بالحرف على ما يحاذيه من الحنك كما أنه من حروف الهمس وهو أن يضعف الاعتماد على الحرف في موضعه فيجري النّفس معه. [٧]، وعليه فحرف الصاد يأخذ ثلاث صفات (الصفير - الإطباق- الهمس) من أصل اثنين وعشرين صفة هي صفات الحروف، ومجموع هذه الصفات يوحي بأن الحرف من الحروف الشديدة التي يتكلف فيها المخرج نوع جهد، وهو أليق حرف بمعناه (الصنع) الذي منه أخذ العمل باليد، ونسبة إلى الصوت الذي يخرجه الصانع أثناء تأدية عمله. فكما أن الصفير في الحرف يوحي بالزيادة في النفس، فكذلك الصنعة

(١) ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن البصري ت ٣٢١هـ، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط الأولى، ١٩٨٧م، (٨٨٨/٢).

(٢) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق بن السكيت ت ٢٤٤هـ، الألفاظ، ت: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط الأولى، ١٩٩٨م، (ص١٢٠).

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣/ ٣١٤). وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، مجمل اللغة، ت: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، (١/ ٥٤٢).

(٤) ابن فارس، مجمل اللغة، (١/ ٥٤٢).

(٥) ابن جني، عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢هـ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (٢٥٩/٢).

(٦) أبو الوفاء، على الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء - المنصورة ، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ، (١/ ١٧٠).

(٧) ابن المبارك، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ ت ٧٤١هـ، الكنز في القراءات العشر، ت: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ط الأولى، ١٤٢٥هـ، (١٦٩/١).

تحتاج إلى مزيد جهد، وكما أن الإطباق هو انحصار النفس فكذلك الصنعة تحتاج إلى انحصار الرغد والسعة في العيش لممارسة شظف العيش والعمل باليد، ولعل هذه اللفتات من روائع اللغة العربية، فإن كل كلمة فيها اختيرت بعناية فائقة، بل كل حرف بينه وبين رسمه وصوته ومعناه من اللطائف والأسرار اللغوية الرائعة، والتي هي جديرة أن تفرد بالبحث والمدارسة.

**التطور الدلالي لمادة "صنع":**

إن اللغات واللهجات يتعامل معها علماء اللسان على أنها كائن حي، يعرض لها وعليها ما يعرض للكائن الحي، ويطرأ عليها التغييرات، ولذلك نرى اللغات تتأثر بما حولها من عوامل وأسباب، واللغة العربية من اللغات الثرية التي حفظها الله تعالى بنزول القرآن الكريم بها، وهي من حسنات القرآن الكريم وفضائله على اللغة العربية، فكما أن اللغة العربية نعدها البوابة الشرعية لتفسير كتاب الله، فنحن أيضاً نقول إن القرآن الكريم حفظ لنا اللغة العربية برمتها.

ولا بد أن نتفق أن اللغة لا يحيط بها إلا نبي كما ذكر ذلك الإمام الشافعي في رسالته حيث قال رحمه الله:» ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي....»[(١)]

فاللغة العربية كائن حي يتطور، حتى أن الجاحظ[(٢)]يشير إلى أن لكل عصر طريقة في الكلام وأسلوب مختلف، ولذلك فمن عاش في الجاهلية ليس كمن عاش في الإسلام، وليس كمن عاش بعد الإسلام بخمسمائة عام[(٣)]، ولا شك أن هذا التطور الذي لحق بمفردات اللغة العربية أو بعضها قد أضاف لها

(١) الشافعي، محمد بن إدريس ت ٢٠٤هـ، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٥٨هـ، (١/ ٤٢).

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، مولده ووفاته بالبصرة، له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٤٧٠/٣). والأعلام، للزركلي (٧٤/٥).

(٣) ذكر صاحب القاموس في «عكد» أن باليمن قرب زبيد جبلاً يسمى: عكادا، أهله باقون على اللغة الفصيحة. ويقول السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس: إنهم لا يزالون على ذلك إلى زمنه، وإنهم لا يسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليالٍ خوفًا على لسانهم. والسيد مرتضى كانت وفاته سنة ١٢٠٥هـ، وله ترجمة واسعة في تاريخ الجبرتي، ويقول ياقوت في معجم البلدان في ترجمة «عكوتان»: وجبلا عكاد: فوق مدينة الزرائب, وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لا يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحتهم، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه. ينظر: الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، القاموس المحيط. ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ، (ص٣٠١). والزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٤٢٢هـ، (٤٠٥/٨). والحموي، ياقوت بن عبدالله الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ط الثانية، ١٩٩٥م، (١٤٣/٤).

استعمالات جديدة، وفقاً لمقتضى السياق، والتطور لهذه المادة أضاف عليها معانٍ معنويةً. كما أن المعاجم بيّنت لنا الاستعمالات الأخرى لمادة «صنع» ولذلك نجدها تطلق أيضاً على[١]:

- **صنع الجارية، أو صنع الفرس:** بمعنى: التربية والعناية. وهذا الاستعمال لا يغيرها عن أصلها في الحاجة إلى الخبرة والإتقان الذي يأتي في التربية والعناية. قال الأزهري: « لِأَن تصنيع الْجَارِيَة لَا يكون إِلَّا بأَشْيَاء كَثِيرَة وعِلاَج»[٢] .

- **صنع إليه معروفاً:** بمعنى أهدى إليه عملاً خاصاً، أو أجاد إليه في العمل.

وَقَالَ سُوَيْدُ بن أبي كاهِلٍ:

**نِـــعَـــمٌ للهِ فِـــيـــنَـــا رَبِّـــنـــا وصَـــنـــيـــعُ اللهِ، واللهُ صَـــنَـــعْ**[٣]

بمعنى أحسن إلينا في النعم. وأفاض علينا الكثير من نعمه.

- **صنع به صنيعاً:** بمعنى آذاه إيذاءً بالغاً.

- **ما صنعت أنت وأبوك؟ :** ولعل هذا من قبيل الإطراء أو الارتقاء في الحديث، أي: كأنك أنت وأبوك لا تعملون إلا الجيد من العمل.

- **وما أحسن صنع الله عندك:** بمعنى نعمه العظيمة، أي: أن الله أعماله مقامها مقام الصنع الذي لا يأتي إلا بإجادة ومهارة.

- **الصُّنْعُ بمعنى الرِّزق:** هذا المعنى نقله ابن منظور[٤]، ولعله من التفسير باللازم؛ إذ إن الحرفة طريق الرِّزق، ففسرت الكلمة بلازم من لوزمها، إذ الصنعة والسعي من مقتضيات الرزق ومن سبله المشروعة.

وهذه الاطلاقات كلها لم تخالف أصل المادة، وإنما استعمال المعنى يختلف باختلاف الموضع والمقام الذي يَرد عليه، وهذه كلها تحولات استعمالية، حتى أن الزمخشري أطلق على بعض هذه الاستعمالات مصطلح: (المجاز)[٥]. وقد يظن الظان أنّ تعدد استعمال الكلمة بحسب سياقها هو من

(١) ينظر: الخليل، معجم العين، (١/ ٣٠٥). والأزهري، تهذيب اللغة، (٢/ ٢٥). والجوهري، إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ، الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ، ( ٣/ ١٢٤٥). والرازي، مختار الصحاح، (١/ ١٨٠). وابن منظور، لسان العرب، (٨/ ٢٠٨). والفيروز آبادي، القاموس المحيط، (١/ ٧٣٩).

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، (٢/ ٢٦).

(٣) البيت من الرمل وهو لسويد بن أبي كاهل اليشكري. ينظر: العاشور، شاكر، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، وزارة الأعلام، (ص ٣٠). والزبيدي، تاج العروس، (٢١/ ٣٦٦). والتبريزي، الخطيب يحيى بن علي الشيباني ت ٥٠٢هـ، شرح اختيارات المفضّل، ت: د. فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية-بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ، (ص ٨٩٩). ويعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، (١٨٤/٤).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٨/ ٢٠٩).

(٥) الزمخشري، أساس البلاغة، (١/ ٥٦١).

قبيل استعمال اللفظ في غير ما وضع له، والحقيقة أنه في جميع استعمالاتها كان فيما وضعت له، إلا أن السياق قد يوحي بغير ذلك.

**الألفاظ المنقلبة من مادة "صنع":**

حاول الباحث تتبع بعض تقلبات اللفظة وتدويرها في المعاجم، ووجد أنّ أقربها إلى المادة هي الألفاظ التالية:

وإمعان النظر في العلاقة بين هذه التقلبات وأصل المادة يجعلنا ندرك مقولة ابن جني: «فكلما ازدادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه وأشهد بالغرض فيه»[(١)]، وهذه الألفاظ المقلوبة منها ما هو مستعمل، ومنها ما لم يعرف عنها استعمال، وبيان ذلك:

- **صَعَنَ**: تدل على لُطْفٍ في الشيء، كقولك: فلان صِعْوَنُّ الرأس: دقيقُهُ[(٢)]، وهذا يوافق ما فيه الصنعة من دلالة على دقة العمل ولطفه.

- **نَصَعَ**: يدل على الخلوص والوضوح، وكثيراً ما يستعمل في الثياب، كقولهم: نَصَعَ لونه نَصَاعةً ونُصُوعاً، أي: اشتد بياضه.[(٣)] ونَصَعَ الأمر: أي وضح[(٤)]، وهذا قريب من الأصل من جهة دلالته على العمل الجيد أو الواضح أو الخالص، فكلها صفات قريبة من الباب.

- **نَعَصَ**: قال ابن المظفر: «نَعَصَ ليست بعربية...، وقال الأزهري: ولم يصح لي من باب نَعَصَ شيءٌ اعتمده من جهة من يُرجع إلى علمه وروايته عن العرب».[(٥)]

- **الخصائص المستنبطة من دراسة هذه المادة "صنع":**

بناء على العرض السابق، نستطيع أنّ نستنبط من أصل المادة إلى تطورها عدة خصائص، وهذه الخصائص قد تجتمع كلها، أو بعضها، وهي على النحو الآتي:

---

(١) ابن جني، الخصائص، (١٥٦/٢).
(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣/ ٣١٥).
(٣) ينظر: الخليل ، العين، (٣٠٥/١). والأزهري، تهذيب اللغة، (٢٣/٢).
(٤) الجوهري، الصحاح، (٣/ ١٢٩١). وابن فارس، مقاييس اللغة، (٣/ ٣١٥).
(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، (٢٣/٢).

**١- اختصاصها الأصيل بعمل اليد. (أصل المادة).**

**٢- اختصاصها بالعمل الجيد (الجودة) أو الدقيق. (صنع إليه معروفاً).**

**٣- دلالتها على الاحتراف والمهارة والحذاقة**، كما قَالَ الشَّاعِر:

**إنَّ الصَّنيعَةَ لَا تَكونُ صَنيعَةً حتى يُصابَ بهَا طَريقُ المَصنَعِ**[١]

**٤- دلالتها على الكثرة. (تصنيع الْجَارِيَة لَا يكون إِلَّا بأَشْيَاء كَثِيرَة وعِلاَج)**[٢].

**٥- دلالتها على النمو والتطور. (صنع الجارية).**

**٦- حاجتها إلى مدة من الزمن (الخبرة الكافية).**

**٧- اختصاصها بعمل الإنسان دون غيره. (دلّ عليه الاستعمالات السابقة)**[٣] .

**٨- اختصاصها بالفعل دون القول.**

**٩- دلالتها على المعنى الحسي والمعنوي.**

**١٠- غالباً ما يستعمل في المعنى المحمود أو المباح.**

**١١- أنها لا تسند إلى الحيوانات والجمادات، يقول الزبيدي في تاجه:" وَلَا يُنسَبُ إِلَى الحَيواناتِ والجَمادات، كَمَا يُنسَبُ إِلَيْهَا الفِعلُ".**[٤]

فيتبين مما سبق أنّ المادة ابتداءً من أصلها، ومروراً بتطورها، لها معانٍ تنطلق من: العمل الجيد على وجه الدقة والخبرة.

**المطلب الرابع: الدلالة الاصطلاحية:**

تعددت تعريفات العلماء في بيان معنى الصنع، إلا أنهم اتفقوا في أصلها وهو "العمل الجيد"، وأبرز هذه التعريفات على النحو الآتي:

(١) الخليل، العين، (٣٠٥/١). لم أعثر له على قائل. والبيت في اللسان والتاج (صنع) بالرواية نفسها، ولم ينسب فيهما.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، (٢/ ٢٤).

(٣) أيد ذلك: الزَّبيدي. ينظر: الزَّبيدي، تاج العروس، (٣٦٦/٢١).

(٤) الزَّبيدي، تاج العروس، (٢١/ ٣٦٣). وأبوهلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل ت ٣٩٥هـ، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (١٣٥/١).

- "**إجادة الفعل**"[١].

- «**ترتيب العمل وإحكامه على ما تَقدم عِلْمٌ به وبما يوصل إلى المراد منه**»[٢].

يُفهم من التعريفات السابقة ثمة عموم وخصوص بين العمل والصنع، كما أن التعريف الأول فسر المراد بشيء من العموم، فلم يشتمل على ما جاء في الدلالة اللغوية وما جاء في التعريف الآخر كالعلم، والترتيب، واختصاص العمل بالإنسان، ولعل أنسب التعاريف التي تتوافق مع الدلالة اللغوية والاصطلاحية معاً:

**«عمل الإنسان المسبوق بعلم، وفق ترتيب وإتقان».**

**شرح التعريف:**

- **عمل الإنسان:** للدلالة على أن هذا العمل يخص الإنسان الذي يكون بقصد دون غيره من الحيوانات والجمادات بخلاف الفعل.

- **المسبوق بعلم وفق ترتيب وإتقان:** للتفريق بين مطلق الفعل، والعمل والصنع الذي يتطلب ترتيباً وإتقاناً.

**المطلب الخامس: الفرق بين الفعل والعمل والصنع:**

هذه المصطلحات متقاربة المعنى، وبينها عموم وخصوص، فالفعل أعم من العمل والصنع، والعمل أعم من الصنع، فالفعل يشمل القول وغيره[٣] كما قال تعالى ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [سورة النساء:١١٤]، فقد جاء في الآية: (ومن يفعل...) بعد ذكر القول (من أمر...)؛ للدلالة على أن القول من جنس الفعل، كما أن الفعل قد يكون بقصد وبلا قصد، بخلاف العمل الذي يحتاج إلى قصد، كما أن الصنع لا يكون إلا بقصد وعلم، ويختص بالإنسان دون غيره من المخلوقات.

---

(١) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل ت ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ه، ط١، (ص٤٩٣هـ). والمناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ت ١٠٣١هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ، (ص٢١٩).

(٢) العسكري، الفروق اللغوية، (ص٣٢٢).

(٣) ينظر: العسكري، الفروق اللغوية، (ص٣٢٢). والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص٤٩٣هـ). والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص٢١٩). والسامرائي، فاضل، لمسات بيانية، محاضرات مفرغة، نسخة المكتبة الشاملة، (ص٧٦٤).

- ونستخلص من ذلك أن الفروق بينها تكون وفق الرسم الآتي:

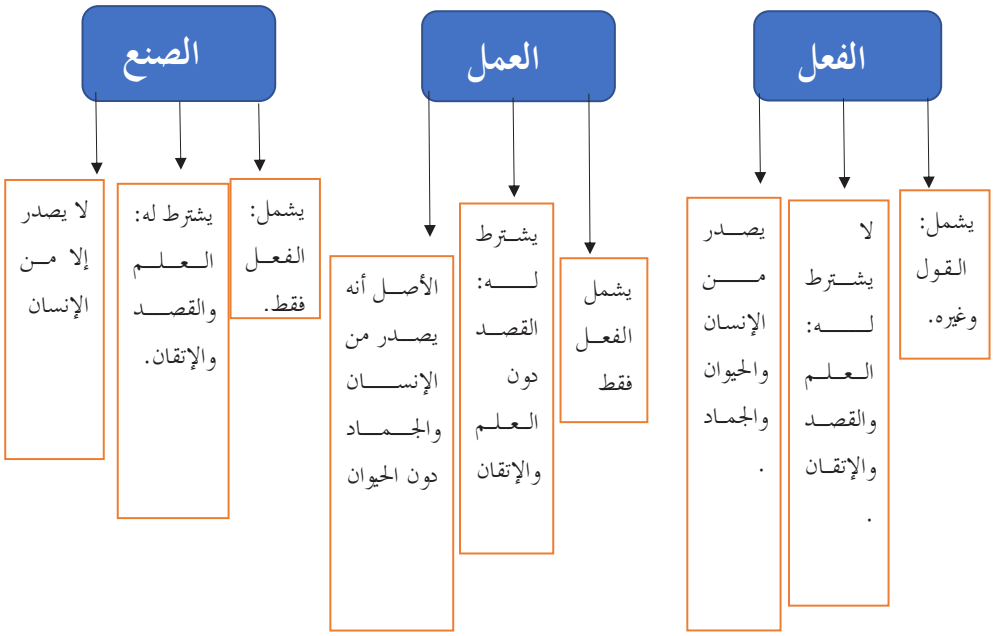

# المبحث الثاني

# الدلالة السياقية لمادة "الصنع" في القرآن الكريم

**وفيه مطالب:**

**المطلب الأول: استعمال القرآن الكريم لمادة الصنع:**

اهتم القرآن الكريم بالاستدلال مادة "الصنع" في مواطن متعددة، وبلغ عدد هذه المواضع عشرين موضعاً على تصريفاتٍ متعددةٍ، وهي وفق الآتي:

**أولاً: استعمالها باعتبار التصريف:**

| على هيئة الاسم | على هيئة الفعل |
|---|---|
| صَنْعَة | فعل ثلاثي مجرد (١٥ مرة) |
| صُنْع (مرتين) | اِفْتَعَل |
| مَصانِع | |

**ثانياً: استعمالها باعتبار مكان النزول:**

| المكية | المدنية |
|---|---|
| (١٧) مرة | ثلاث مرات |

**ثالثاً: استعمالها باعتبار الموضوع:**

| م | موضوعات المادة في القرآن الكريم | | |
|---|---|---|---|
| ١ | العمل المتقن (مرتين) | ٦ | الكفر (٤ مرات) |
| ٢ | التربية والحفظ (مرة واحدة) | ٧ | المقاصد (مرة واحدة) |
| ٣ | الاصطفاء والاختيار (مرة واحدة) | ٨ | الحسنة (مرتين) |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤ | المهن (٤ مرات) | ٩ | السحر (مرتين) |
| ٥ | الأبنية والقصور (مرتين) | ١٠ | السكوت عن الباطل |

**رابعاً: استعمالها باعتبار الإضافة:**

م أقسام المادة باعتبار المسند إليه

| باعتبار إضافتها إلى الخالق | باعتبار إضافتها إلى المخلوق | |
|---|---|---|
| | المؤمنون | الكفار |
| ٤ مرات | ٦ مرات | ١١ مرة |

**المطلب الثاني: خصائص مادة الصنع في القرآن الكريم:**

**أولا: التناسب السياقي:**

موضوع المناسبات القرآنية، من الموضوعات ذات الأهمية البالغة، والتي تنّبه إليها كثير من الباحثين المحدثين، وحاولوا -قدر جهدهم- الإفادة منه في التفسير وبيان معاني القرآن الكريم، وهو مجال ذو تربة خصبة للاجتهاد وفق الضوابط والمعايير المقررة عند أهل الفن، وهو علم يقوم على الاجتهاد في الربط بين أجزاء القرآن الكريم، وجعلها كالثوب الواحد في تماسكه وتناسقه، وهو علم يعرف منه علل ترتيب أجزائه، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه[١]، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.[٢] بيد أنّ كثيراً من الباحثين في هذا العلم يسلط الضوء على

(١) ينظر: البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن ت ٨٨٥هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١/ ٦).

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله بهادر ت ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى، ١٣٧٦هـ، (١/ ٣٥). والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ، (١٨٤٠/٤). والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، معترك الأقران، دار الكتب العلمية - بيروت،

جوانب خاصة من المناسبات، كالمناسبة بين الموضوع والموضوع، أو السورة والسورة، أو الآية والآية... ونحو ذلك[١]، ونادراً ما نجد من يتحدث عن مناسبة «المفردة القرآنية» في السياق الذي جاءت فيه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

**١- التناسب في الموضوع.**

كان في نزول القرآن الكريم هيمنة على سائر النصوص، من نثر أو شعر أو غير ذلك، حتى زهد الشاعر بشعره، والفصيح بفصاحته، والخطيب بخطبته وبلاغته، وكان ذلك كله بشهادة الأعداء والخصوم كالوليد ابن المغيرة حين قال: «والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر».[٢]

والمتأمل في مفردات القرآن الكريم يجد فتحاً جديداً وموروداً لا ينضب من عظيم التناسب بين أجزائه، وهذا التناسب قد يبرز في وقت دون آخر، فقد يهتدي إليه أهل قرن وزمان دون غيرهم، وهو عطاء الله يؤتيه من يشاء، ولا يخلو عصر من عطاء. فما ليس بمعلوم في زمن من الأزمنة، قد يدركه أهل زمان آخر.

**ومن أمثلة هذا التناسب:** ما جاء في تتبع مادة «الصنع»، فقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم عشرين مرة، في موضوعات متعددة -كما سبق-، بيد أنّ هذه الموضوعات لها علاقة وثيقة، وتناسب بديع في الاستدلال بهذه المادة، فمن ذلك:

**قال تعالى:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ **[سورة النمل:٨٨].**

الآية السابقة جاءت في سورة تتحدث عن عظيم خلق الله وقدرته، وتحمل دلائل متنوعة في بيان هذه القدرة، ودقة الخلق، ابتداءً من الآيات التسع التي آتاها الله موسى -عليه السلام- **قال تعالى:** ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النمل:١٢] ، وما آتاه الله لسليمان من العلم بمنطق الطير، وتسخير الجن والإنس والطير، والعلم بحال النمل الذي

---

ط الأولى، ١٤٠٨هـ، (١/ ٤٤).

(١) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ت ١٤١٤هـ، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ، (٢/ ٢٨٣).

(٢) مقاتل، أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ت ١٥٠هـ، تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ،(٤٩٢/٤). وبنحوه: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ت ١٥١هـ، السير والمغازي، ت: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط الأولى، ١٣٩٨هـ، (ص١٥١). والطبري، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، (٢٤/٢٤-٢٥).

هو من أدق وأصغر مخلوقات الله، وتفقده للطيور الدال على علمه بها حالاً وعدداً، وهذا الأمر يتجلى في ادراكه لغياب الهدهد، ثم أتبع ذلك قصة الجن ومن عنده علم الكتاب في الإتيان بعرش بلقيس الذي دل على دقة الإتيان وسرعته في أبهر صورة كما قال تعالى ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [سورة النمل:٤٠]، ثم ما ختم الله به السورة الكريمة في بيان عظيم قدرته ابتداء من آية ٦٠ إلى نهاية السورة، من قوله تعالى ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [سورة النمل:٦٠]، حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [سورة النمل:٨٨]، وهي من أعظم دلائل بديع خلق الله، وأدقها، الذي لا يتأتى إلا من خالق عظيم، وصانع خبير، بعلم ودقة وإتقان، فهذه السورة العظيمة وما جاء فيها من دلائل يلتمسها ويقف عليها أهل العقول، لدلالة واضحة وبينة على أنّ الاستدلال بهذه الصفة "الصنع" من أعظم ما يتناسب مع المقام؛ ليبهر به ذوي الأنام، فسبحان الله. فناسب التعبير بهذه المفردة لتكون مفتاحاً لبيان محور السورة الكريمة وما استوعبته من مواضيع كلها لها تعلق بالصنع والإتقان والمهارة الفائقة، فالحديث ليس عن مجرد مفردة وردت هنا أو هناك بل هي مفردة بمثابة مفتاح لشخصية السورة الكريمة، فكل مقطع من مقاطع هذه السورة لا يخلو من ملحظ المهارة والإتقان في الصنعة فهي مفردة ناسبت السياق وأصابت من الهدف ما لا يصيبه غيرها من مفردات اللغة العربية بأكملها.

**وقال تعالى ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [سورة هود:٣٧].**

الاستدلال بالمادة في هذا المقام يتناسب مع أصل المادة الدال على «عمل اليد»؛ إذ إن مهنة الخياطة من مهن الصناعة التي يعرفها أهل كل زمان، كما أن هذه المهنة فيها نوع من الدقة والضبط، ولهذا صارت جديرة في التناسب بالاستدلال بمادة «الصنع». وقال تعالى ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ [سورة النور:٣٠].

العضو البصري هو من أسرع الأعضاء حركة وإدراكاً، ومن صور هذه الدقة وخفائها ما يطلق على النظرة بأنها «خاطفة»[1] و «خائنة» كما قال تعالى ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [سورة غافر:١٩]،

(١) الخطف: أخذ الشيء بسرعة. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (٦٠٩/١).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: قال: «الرجل يكون في القوم، فتمرُّ بهم المرأة، فيريهم أنّه يغضّ بَصره عنها، فإنْ رَأى منهم غفلة نَظَر إليها، فإنْ خَافَ منهم أنْ يَفطنوا به غضَّ بصره عنها، وقد اطّلع الله مِن قلبه أنّه ودَّ أنّه ينظر إلى عورتها»[1] ؛ وذلك كناية عن سرعة النظر وخفاءه، والذي لا يدركها -غالباً- إلا خبير، فإطلاق وصف الخبير يتناسب مع إدراك الأمور الباطنة، وكذلك الفروج التي لا يتم خدشها -عادةً- إلا خلف الستور، فهذان اللفظان ناسب معهما الاستدلال بهذه المادة «الصنع»؛ لما فيها من دقة ومهارة في رؤية الأشياء بصورة سريعة وخفية دون أن يستشعر ذلك أحد.

**٢- التناسب في الجزاء.**

**قال تعالى** ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٧].

الظلم الذي سلكه فرعوه وجنوده في المؤمنين من موسى -عليه السلام- وأتباعه، أو في سائر الناس من قتل الذكور في كل عام خشية أن يرى منهم ما يخشاه على ملكه، وما آتاه الله من تدبير أمور في زمنه من صناعات أو تصريف الشؤون أو جذب لعقول الناس حتى أوصله إلى السخرية والاستهزاء ليس بموسى ومن معه فحسب بل حتى في حق الله -جل وعلا-، ومن ذلك ما أخبر الله تعالى به إذ يقول ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾}[سورة القصص:٣٨]، بل حتى في نوع عذابه وشدته ودقته حين هدد السحرة الذين سجدوا {قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [سورة طه:٧١].

فهذا كله لم يصدر من فرعوم بمجرد عمل سطحي أو كردة فعل دون تخطيط أو روية من أمره، وإنما صدر منه على وجه الصنع والخبرة والدقة، ولذلك ناسب ذلك الوعيد الشديد ليكون في ذلك شفاء للمؤمنين، وعبرة للسامعين، فقال تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ

(١) ابن أبي شيبة، أبوبكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ت ٢٣٥هـ، المصنف، ت: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا-الرياض، ط الأولى، ١٤٣٦هـ، أثر رقم: ١٨١١٥، (٥٠٠/٩).

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٧]، فالهلاك والعذاب والتدمير هو ما ناسب هذا الصنيع، ليس في هذا الموضع فحسب، بل في مواضع كثيرة؛ ليصاحب ذلك تذكير مستمر واعتبار، قال تعالى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الفجر:١٠-١٣].

فانظر كيف يختار القرآن الكريم مفرداته باحترافية فائقة ومنقطعة النظير، فليس اختياراً عشوائياً بل كل اختيار فيه يؤكد نظرية التناسب ومراعاة السياق بصورة تعجز من حاول الاقتراب من أسلوب القرآن الكريم أو الاستدراك عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الرعد:٣١].

هذه الآية خصت قوم النبي -صلى الله عليه وسلم-[1] إذ إن أعمالهم في حقه وحق وأصحاب الكرام من المكر والكيد والتحذير والإيذاء والحصار والتعذيب في مكة أو خارجها، ومن حشدهم للقبائل والأحزاب، كل ذلك لم يكن منهم بمجرد العمل المحض، وإنما كان بمنزلة الدقة والترتيب المسبوق بعلم، الذي هو من صور الصنع، فكم باتوا يخططون، وكم مرة جلسوا في دار الندوة لإدارة شئون المعركة بينهم وبينهم دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك قابلهم الله بما يناسبهم من العذاب في الدنيا والآخر، فقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الرعد:٣١]، فإتيان القارعة التي هي ما يقرعهم من العذاب والبلاء كالقحط والهزيمة والسلب والقتل والأسر ونحو ذلك، كل ذلك ناسب سوء صنيعهم ومكرهم. وإن الباحث قبل القارئ ليقف مشدوهاً أمام هذا الإعجاز السياقي الراقي والذي لا تجده سوى في القرآن الكريم، فلو أديرت اللغة العربية على حذف كلمة من موضعها في القرآن لما وجدنا لها البديل الذي يؤدي نفس الدور، سبحانه من حكيم خبير.

(١) الطبري، جامع البيان، (٤٤٧/١٦).

**٣- التناسب في الإسناد:**

جاء مصطلح» الصنع» في القرآن الكريم مسنداً إلى العلماء تارة وإلى العامة تارة أخرى، كما ورد في القرآن مسنداً إلى الله تعالى ومسنداً إلى غيره من المخلوقين، فهل راعى القرآن التناسب في صور هذا الإسناد ؟ لم يكن اهتمام القرآن الكريم بمصطلح الصنع على المستوى الموضوعي والجزائي فحسب، بل كذلك في نسبة هذه المادة أو إسنادها؛ إذ إن الناظر في الآيات التي تناولت المادة يجد أنها تناسبت مع إسنادها تناسباً بديعاً، ذلكم أن النسبة أُسندت إما إلى الخالق أو المخلوق، وهي على النحو الآتي:

**- باعتبار إسنادها إلى الخالق:**

لما تحدثت سورة النمل في بيان عظيم خلق الله ودقته، اعتباراً من ذكر أصغر هذه المخلوقات التي حملت صوراً بديعةً في بيان بعض أسرارها من حديثها وفهمها وتنظيمها حتى تدرج وصولاً إلى الحديث عن ملكوت السماوات والأرض ثم الحديث عن أهوال الساعة وما صاحبها من طوي لهذه المخلوقات وهدم للجبال ونحو ذلك، فهذا الخلق العظيم بقوته ودقته وجماله وتنظيمه وثباته لا يأتي ولا يذهب إلا من صانع، كما قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النمل:٨٨]، فلو كانت ثمة مادة أقوى دلالة من الصانع لكانت هي، ولكن الصنع هو أعلى وأرقى مادة تعرفها العرب وتستعملها في بيان مثل هذا الوصف، ولذلك ناسب استعمالها وإسنادها في هذا المقام.

**- باعتبار إسنادها إلى المخلوق:**

إسناد هذه المادة لا يتأتى لمجرد الفعل فحسب، بل إن الاستقراء القرآني يدل على أن خصوصية المادة في المعنى تنعكس على خصوصية الإسناد، من جهة أن الصنع لا يطلق على عامة الناس بل على خاصتهم، فالناظر في قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الرعد:٣١]، يدرك أن الصنع هنا لم يسند إلى عامة الكفار، ولكن إلى قوم النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاصتهم من الذين نصبوا العداء وتولوا أمر الكفر والتكذيب والتعذيب والإخراج[1]، فهذه

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٦/ ٤٥٧). والسمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت ٣٧٣هـ، بحر العلوم،

النسبة أشارت إلى أنّ صنع هذا لم يأتِ إلا من علم وقصد وتدبير وكيد وترصد، ولذلك ناسب هذا الفعل هذه المادة لكونها أبلغ في بيان شنيع فعلهم.

والأمر لم يقتصر على كفار قريش دون غيرهم، بل كذلك بعض أهل الكتاب من علماء النصارى وأحبارهم؛ إذ إن هؤلاء لم يصدر منهم مجرد الإعراض فحسب، بل تعدى الأمر إلى التحريف والتبديل والنقض والنكث[1] وتركوا ذلك ترك الناسي كما فعلت اليهود، كما أن هذه الخيانة وقعت منهم بواقع العلم والملكة والدربة والمهارة حتى صارت صفة راسخة فيهم كالصنعة[2]، كما قال تعالى {وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤} [سورة المائدة:١٤]، وكذلك في نسبة الصنع إلى علماء النصارى دون عامتهم كما في قوله تعالى {لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣} [سورة المائدة:٦٣].

٤-التناسب في الاسم والصفة: اختيار ما يتناسق معها من صفات الله.

إن استقراء هذه المادة في القرآن الكريم أسفر عن بعض الأسرار التي حملتها الدلالة السياقية لهذه المفردة، بيد أنّ الأمر لم يكن مكتفياً في إسناد الأمر أو الفعل إلى فاعله فحسب، بل أسند إلى اسم وصفة تتناسب مع المقام، ولا يتبين ذلك إلا أن يشتمل المسند على أسماء متعددة وصفات تُنبئ بالكمال، ولا يتيسر ذلك إلا مع الله -جل وعلا-، فقد قال الله تعالى {قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠} [سورة النور:٣٠]، فذُكر في الآية اسماً من أسماء الله تعالى، وصفة من صفاته، وهي (خبير)، وهذا من أعظم ما يناسب الصنع، فالصنع لا يُدرك حقيقته، وتعرف أسبابه وكيفياته وأهدافه إلا من قبل خبير، وهذا الذكر ناسب هذا الصنع، والذي بدوره يشير إلى أنّ غض البصر وعدمه قد يغيب على كثير من العامة، ولكن لا يغيب على من كان به خبيراً، فَلِلْعَيْنِ لغةٌ قَلَّ من يفهمها، ولها خائنة لا يتنبه إليها إلا الخبير، فنزل ذلك الختام منزل الترهيب والتهديد.

---

بدون طبعة ولا تاريخ، (٢/ ٢٢٧).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان، ، (١٦/ ٤٦٠). وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ، (٤/ ٤٦٢).

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٠/ ٣٤٥).

**ثانيا: الشمول الاستدلالي:**

*** ومن خصائص استعمال القرآن الكريم لمادة الصنع أنه استعمال** يشتمل على أصل المادة والتطور الدلالي لها معاً فالقرآن الكريم لم يقتصر على الاستعمال الأصلي (أصل الوضع) فحسب، بل راعى قضية التطور الدلالي دون الاكتفاء على جمود المعاني، كما أنه لم يهمل المعنى الأصلي للمادة، وذلك يظهر جلياً من خلال تتبع وجوه هذه المادة في القرآن الكريم، وبيان ذلك على النحو الآتي:

**١- دلالة المعنى الأصلي:**

تعدد مجيء الاستدلال بالمعنى الأصلي في القرآن الكريم مرات متعددة، وبلغت خمسة مواطن، وهي وفق الجدول الآتي:

| م | مواطن الاستدلال بالمعنى الأصلي | | |
|---|---|---|---|
| ١ | قال تعالى {وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾} [سورة الأنبياء:٨٠]. | ٣ | قال تعالى {وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾} [سورة هود:٣٧]. |
| ٢ | قال تعالى {وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾} [سورة هود:٣٨]. | ٤ | قال تعالى {فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾} [سورة المؤمنون:٢٧]. |
| ٥ | قال تعالى {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾} [سورة الشعراء:١٢٩] | | |

بإمعان النظر في المعاني السابقة نجد أنها تناولت المعاني الأصلية للمادة بصفاتها الدالة على حرفة اليد، وهي التي تشير إلى المهنة المعروفة من حدادة أو خياطة أو نجارة ونحو ذلك، وهي أصل ما وضعت له الكلمة، فهنا إشارة إلى استعمالها فيما وضعت له في الحقيقة اللغوية.

**٢- دلالة المعنى المستعمل (السياقي):**

الدلالة المستعملة والتي يطلق عليها المتخصصون (التطور الدلالي)، أو هي الاستعمال المجازي للكلمة، وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له في الحقيقة اللغوية[١] لعلاقة بين المعني الأصلي والمعنى المراد، وهذا النوع هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم، مما يدل على أن القرآن الكريم يسير مع المرونة التي تدعو إليها ثقافات المجتمع، ومدى حاجياته إلى ألفاظ ومعاني تلبي وتنقل تعابير الناس ومشاعرهم بأحسن تركيب، وأبهج صورة، فهو يراعي اللسان العربي واستعمالاته، وقد ورد هذا اللون من الاستعمال في عدة مواطن جملتها خمسة عشر موطناً، ولنأخذ على ذلك بعض النماذج والأمثلة وعلى سبيل الاختصار كما قيل: «حَسْبُكَ مِنْ القِلَادَةِ مَا أَحَاط بِالعُنُقِ»[٢]، فمن أمثلتها ما سيأتي في الجدول:

| م | مواطن الاستدلال بالمعنى السياقي | | |
|---|---|---|---|
| ١ | قال تعالى {أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾} [سورة طه:٣٩] | ٣ | قال تعالى {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [سورة هود:١٦]. |

(١) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤١٧هـ، أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (ص٤١٧).

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٥١٨هـ، مجمع الأمثال، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، (١٩٦/١).

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٢ | قال تعالى {وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾} [سورة الأعراف:١٣٧]. | ٤ | قال تعالى {وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾} [سورة طه:٦٩]. |

فهذه استعمالات متعددة في موضوعاتٍ ومعانٍ متنوعة؛ لتأكد لنا مدى مراعاة القرآن الكريم لاستعمالات العرب ولسانهم، ومواكبته للاستعمال اللغوي للكلمة حقيقةً ومجازاً.

**٣- استعمالها في المعاني المحمودة والمذمومة.**

الاستعمال الأصلي لهذه المادة كان في المعاني المحمودة، ومع التطور الدلالي لكلام العرب واستعمالاتهم توسعت قليلاً حتى اشتملت بعض الجوانب المذمومة، ولكنها بشكل ضيق -وفقاً لما جاء في المعاجم العربية-، بيد أنّ الاستعمال القرآني لهذه المادة لم يقتصر على الجانب المحمود فحسب، بل تناول الجانب المذموم أيضاً وبشكل أوسع من المحمود، فقد كانت أغلب هذه المواطن ترتكز على بيان الصفات السلبية سواءً من قبل الكفار أو العصاة، وبيان هذه المعاني وفق الآتي:

| سياق المدح أو الإباحة | سياق الذم |
|---|---|
| المهنة:<br>اصنع (مرتين)<br>صنعة<br>يصنع | الكفر:<br>صنعاً<br>يصنعون (٣ مرات) |

| | |
|---|---|
| الاصطفاء والتربية:<br>اصطنعتك<br>لتصنع | المقاصد:<br>يصنعون |
| العمل المتقن:<br>صنع | الحسنة:<br>صنعوا |
| المعامل أو الأبنية:<br>مصانع | السحر:<br>صنعوا (مرتين) |
| الحسنة:<br>تصنعون | القصور:<br>يصنع |
| | السكوت عن الباطل:<br>يصنعون |
| | القتل والأذى:<br>صنعوا |

- **يستفاد من العرض السابق:**
- أنّ القرآن الكريم استعمل الجانبين (المحمود والمذموم).
- بلغ عدد الموضوعات المشتركة بين الجانبين: موضوعان (الحسنة + القصور).
- أن الاستعمال في المذموم أكثر من الاستعمال في المحمود.
- أن الصيغ في المحمود أكثر تعدداً من المذموم.

وفي كل موطن من المواطن المشار إليها الذي يحدد لنا المراد هو السياق، وهذا هو فائدة دراسة علم السياق ودلالته في توجيه المعنى المراد من الكلمات والمصطلحات القرآنية، فالكلمة هي ذات

الكلمة، بحروفها ورسمها وتشكيلها، لكنها تأتي في موطن بمعنى خلاف ما تكون به في موطن آخر، وهنا تتجلى فكرة دراسة المفردات القرآنية دراسة سياقية، لتفتح لنا المجال من جديد، حول الدراسات القرآنية المتخصصة، وهو مجال خصب ورحب، واسع الموارد والمشارب، تتجلى فيه قدرة المفسر والباحث على استجلاء واستنطاق الآية بالعديد من المعاني الجديدة، حسب استعمالها للمفردة وفي أي سياق جاءت.

**٤- اشتمالها على المعنى المحسوس والمعنوي:**

باستقراء الإطلاق اللغوي للمفردة "صنع" توصل الباحث إلى أن اللغة في استعمالاتها قد راعت المعاني (الحسية والمعنوية) للمفردة، مع كون بيان أن الأصل كان مبنياً على المعنى الحسي، وإنما طرأ المعنى المعنوي كمظهر من مظاهر التطور الدلالي وفق حاجة المجتمع، أو هو عندئذ من الاستعمال المجازي للكلمة، والقرآن الكريم راعى هذا الاستعمال، وبيان مواطن هذه المعاني وفق الآتي:

| المعنى الحسي | المعنى المعنوي |
|---|---|
| المهن:<br>اصنع (مرتين)<br>يصنع<br>صنعة | الكفر:<br>يصنعون (٣ مرات)<br>صنعاً |
| العمل المتقن:<br>صنع | المقاصد:<br>يصنعون |
| القتل والأذى:<br>صنعوا | السكوت عن الباطل:<br>يصنعون |
| الأبنية والقصور:<br>مصانع<br>يصنع | السحر:<br>صنعوا (مرتين) |

| | |
|---|---|
| | الحسنة:<br>صنعوا<br>تصنعون |
| | الاصطفاء والتربية:<br>اصطنعتك<br>لتصنع |

- **يستفاد من العرض السابق:**

- أنّ استعمال المادة جاء في المعنى المعنوي أكثر من الحسي؛ ذلكم أن معاني الدين أكثرها معنوية كالإيمان والكفر ونحوهما.

- كلتا المعاني تناولت الجوانب المحمودة والمذمومة.

- أن هناك معانٍ قد تكون مشتركة مثل: السحر فقد يكون معنوياً من جهة ما يقع عليه من تخييل أو حسياً من جهة الأثر، وكذلك الأذى.

**ثالثاً: الخصائص السياقية:**

**المراد بالسياق:** بالنظر في كتب الأقدمين وجدت انهم درجوا على استخدام كلمة السياق في ثنايا حديثهم، دون أن يحدوا لها حداً معيّناً يمكن الوقوف به على معالمه، وللوقوف على مراد الأقدمين للسياق أنظر إلى الكلمة في ضوء النص الذي ذكرت فيه، فأجد أنهم قصدوا به الغرض والهدف الذي سيق من أجله الكلام، وتارة يقصدون به نظم الكلام بسباقه ولحاقه، وهو ما يسمى بالسياق اللغوي، أو سياق المقال، وتارة يقصدون به الحال والمقام والظروف والملابسات التي تحيط بالنص وهو ما يسمى بالسياق الخارجي، كأسباب النزول، وحال المخاطب والمتكلم، لذا فالتعريف الشامل للسياق هو: **الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم أو حاله، أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع.**[1]

(١) الشتوي، فهد بن شتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة ام القرى، ١٤٢٦هـ، (ص١٤). بتصرف

وقال صاحب كتاب البحث اللساني: «السياق يقتضي عناصر مخلفة، أولا عنصر ذاتي: وهو معتقدات المتكلم، وأيضا مقاصد المتكلم، ثم العنصر الثاني أسميه عنصرا موضوعيا، وهو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول، يعني الظروف الزمانية والمكانية، ثم العنصر الذي أسميه العنصر الذواتي، وأقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين»[1]

**ويمكن تصوير السياق في القوالب الآتية:**

**١- الخصائص الصرفية والنحوية.**

من خلال تتبع تصاريف هذه المادة نجد أن لها خصائص اختصت بها مواضع دون أخرى، وبيان ذلك على النحو الآتي:

| سياق المدح أو الإباحة | سياق الذم |
|---|---|
| المهنة:<br>اصنع (مرتين)<br>صنعة<br>يصنع | الكفر:<br>صنعاً<br>يصنعون (٣ مرات) |
| الاصطفاء والتربية:<br>اصطنعتك (إضافة إلى الخالق)<br>لتصنع (إضافة إلى الخالق) | المقاصد:<br>يصنعون |
| العمل المتقن:<br>صنع (إضافة إلى الخالق) | الحسنة:<br>صنعوا |
| المعامل أو الأبنية:<br>مصانع | السحر:<br>صنعوا (مرتين) |

(١) عبدالرحمن، طه، البحث اللساني، منشورات كلية الآداب بالرابط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦، (ص٣٠١).

| | |
|---|---|
| الحسنة:<br>تصنعون | القصور:<br>يصنع |
| | السكوت عن الباطل:<br>يصنعون |
| | القتل والأذى:<br>صنعوا |

**يستفاد من العرض السابق الآتي:**

- أنّ صيغ الأمر لم تأتِ إلا في الجوانب المحمودة (اصنع، لتصنع)؛ ليؤكد لنا قوله **تعالى: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون } [سورة الأعراف:٢٨].**

- أنّ استعمال المادة في السياق المذموم أكثر تقلباً من المحمود؛ ولعل في ذلك مزيد بيان عن صفات المجرمين، وشناعة فعلهم، إلا أنّ تعدد الصيغ وتنوعها جاء في الجانب المحمود أكثر من المذموم.

- أنّ سياق الذم اختصت بمجيئه على صيغ الجمل الفعلية، لاستحضار حالهم من القبح والجرأة على الله أثناء الحديث عنهم فيكون رادعاً عن التأسي بهم، بخلاف المحمود فتنوعت فيه مشارب الصيغ.

- أنّ صيغ المبالغة لم تأتِ إلا في الجانب المحمود، ففيه فقط ينبغي أن تكون المبالغة والكمال المنشود، بل ما جاءت إلا مسندة إلى الخالق - جل وعلا-، جاءت بصيغ تدل على المبالغة أو الثبوت كما في الفعل الماضي وما يقتضيه، نحو: اصطنعتك: بإضافة الطاء المقلوبة من التاء الدالة على المبالغة[1]، ولتصنع: جاءت بلام التأكيد، وصنع الله: فجاءت هذه الصيغة على قراءتين (صُنْعَ) و(صُنْعُ): الأولى على مفعول به مصدر يدل على الثبوت، والأخرى على كونها خبر لمبتدأ (ذلك صنع الله) وهي تدل أيضاً على ثبوت كما هو معلوم عن الجملة الاسمية.[2]

(١) ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور ت ٢٠٧، معاني القرآن، ت: مجموعة محققين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط الأولى، (٢١٦/١). والفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ت ٣٦٠هـ، معجم ديوان الأدب، ت: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ، (٣٩٥/٢). وابن منظور، لسان العرب، (٢٠٩/٨).

(٢) ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب

**٢- الخصائص الوصفية: مثل استعمالها في صفة السكوت.**

القرآن الكريم يأتِ بالمادة على استعمالات متعددة، فيأتي بأصل الوضع، وكما يأتي بالتطور الدلالي للكلمة، ويأتي بالتعميم، ويأتي بالتخصيص، ونحو ذلك، كما أن القرآن الكريم يأتي بإطلاقات خاصة ومشتملة على معانٍ يستفاد منها في بيان حكم أو شناعة فعل، كإطلاقها على علماء النصارى في قوله تعالى {لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُون} [سورة المائدة:٦٣]، فقد جاء إطلاق هذه المادة على معنى خاص، أحدهما متبادر في الذهن، والآخر غير متبادر، وهي على أمرين:

**١- اطلاقها على العلماء دون العامة:** وهذا ما تناسب مع المعنى اللغوي للمادة؛ إذ إن المادة لا تُطلق في الأصل إلا على الخاصة.

**٢- اطلاقها على السكوت المجرد:** من المعلوم أن استعمال المادة يأتي بنوع خاص من أنواع العمل، ولكن الجديد في الذهن أنّ وصفَ سكوت علماء النصارى عن الإنكار اطْلَقَ عليه الله -جل وعلا- وصف الصنع؛ للدلالة على أنّ السكوت عن إنكار المنكر يُنَزَّل منزلة العمل الخاص أو الفعل، كما أن سكوت العلماء عن الإنكار لا يغفر له السهو أو غير ذلك، فالله يعلم بعلمهم، وسكوتهم لا ينبغي إلا أن يكون مقصوداً من عند أنفسهم، فاستُحق بذلك أن يكون صنعاً من جهة أنهم يعلمون ويشاهدون ويُستفتون ورغم ذلك كله لم ينكروا !! فكأن ذلك منهم بمثابة تشريع جواز هذا الفعل المنكر، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (وَإِنْ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)[١]، فالأنبياء إذا سكتوا عن فعل أمامهم كان ذلك بمثابة التشريع له[٢]، وهكذا العلماء؛ إذا أن الناس إذا فعلوا الشيء أمامهم دون إنكار منهم ظن الناس بأن ذلك جائز في أصله. فعدم النهي عن المنكر من العلماء بمثابة الصنع من غيرهم فعُبّر به عنه.

---

- بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، (١٣٠/٤). ومكي بن أبي طالب، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت ٤٣٧هـ، مشكل إعراب القرآن، ت: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، (٥٤٠/٢). وأبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ت ٧٤٥هـ، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، (٦٥٦/١).

(١) أخرجه أبوداود، سنن أبي داود، حديث رقم: ٣٦٤١، (٤٨٥/٥). قال محققه شعيب الأرناؤوط: حسن بشواهده.

(٢) ينظر: الفناري، شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الرومي ت ٨٤٣هـ، فصول البدائع في أصول الشرائع، ت: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٢٧هـ، (١٤٩/٢).

**٣- المطلب الثالث: أثر معرفة دلالة مادة "الصنع" في توجيه أقوال المفسرين:**

ولا شك أن لتعدد الدلالة لمادة الصنع في القرآن الكريم أثراً بالغاً، حيث حُملت أقوال المفسرين في هذه المواطن المتعددة على أنها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فعندما تأتي كلمة "يصنعون" في القرآن الكريم، ويفسرها البعض على أنها القصور، وآخرون على أنها الحصون، والبعض يفسرها على أنها أعمال النحت التي كانوا يبدعون فيها، فأين التضاد هنا؟ أليس كل ما أشرنا إليه من صنع اليد، ويطلق عليه في النهاية صنعة، ومثال هذا في القرآن الكريم وتوجيهاته كثير جداً، فعند تفسير قوله تعالى { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم } [سورة الفاتحة:٦] ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو الإسلام بجملته، وذهب بعضهم إلى أن المراد هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وذهب آخرون إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو القرآن الكريم[١] ، وحمل هذا الاختلاف على اختلاف المثال أو اختلاف التنوع، إذ الكل في النهاية يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي الاستقامة كما أمر الله، والأمر هنا في مقام تعدّد دلالة الصنع لا يختلف كثيراً، فكل ما ذكره العلماء والمفسرون في المراد من هذه الكلمة في القرآن هو من اختلاف النموذج والمثال، ويمكن الجمع بين الأقوال بأن جميع ما ذكر هو في النهاية من صنع اليد. يقول الفيروزآبادي في بصائره الفريدة: «والمَصْنَعة كالحوض يُجمع فيها ماءُ المطر، وكذلك الصِّنْع، قال الله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ}. والمصانع: المبانى من القصور والحصون. قال لبيد -رضى الله عنه-:

**بَلِينا وما تَبْلَى النّجومُ الطوالعُ وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ**

- وقال الأَصمعى: العرب تسمّى القُرَى: مصانع، وأَنشد لتَميم بن أُبىّ ابن مقبل:

**كأَنَّ أَصواتَ أَبكار الحَمَام به فى كلّ مَحْنِيَةٍ منه يُغنّينا**

**أَصواتُ نِسوان أَنباطٍ بمصنَعة بَجّدْن للنَّوح واجْتَبْنَ التبابينا**

بجَّدن: لبسن البُجُد. ويروى الأَتابينا: جمع (إِتَاب، جمع إِتْب).[٢]

ولذلك نجد المفسرين في قوله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون} [سورة الشعراء:١٢٩] يتنوع كلامهم حول المراد بالمصانع فيقول شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري: «قوله: (مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال: أبرجة الحمام».

- وقال آخرون: بل هي مآخذ للماء."[٣]

(١) الطبري، جامع البيان، (١/١٧٣).

(٢) الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (٣/ ٤٤٤).

(٣) الطبري، جامع البيان، (١٩/ ٣٧٦).

- ويقول فيها ابن عطية:» و»المصانع» جمع مصنع، وهو ما صُنع وأُتقن في بنائه من قصر مشيّد ونحوه، وقال قتادة: هي مآخذ للماء».[١]

- وذهب ابن عثيمين إلى أن المراد بالمصانع هي الخزانات تكون تحت الأرض لتخزين الماء فيها فيقول: «{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ}: جمع مَصْنَع، وهو مَحَلّ الماء، كما قال المُفَسِّر، فالمصانعُ عِبارة عن الخزَّانات الَّتي تحت الأَرْض يَتَّخِذُونها لعلَّهم يَخلُدُونَ، يَعْنِي: كَأَنَّهم خالدون في هذه الدُّنيا غير مَيِّتِينَ.»[٢]

ويمكن الجمع بين جميع الأقوال بأن ما ذكروه من جنس ما يصنع باليد فالتنوع هنا لضرب المثال، وليس حصرا في صورة بعينها.

وهكذا وجدنا أن تنوع الدلالة في القرآن الكريم، يثري التفسير ويفتح ساحات رحبة في بيان المراد من كلام الله دون أدنى تعارض أو تناقض.

(١) ابن عطية، أبومحمد عبدالحق بن غالب الأندلسي ت ٥٤٢هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، (٢٣٨/٤).

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح ت ٢٠٠١م، تفسير ابن عثيمين لسورة الشعراء، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٣٦هـ، (٢٢٣/١).

## الخاتمة

وبعد هذه التطوافة السريعة حول مادة «صنع» في القرآن الكريم، وبعد هذه المعايشة بين يدي كتاب الله يستطيع الباحث أن يخلص من هذه الدراسة بعدة نتائج من أهمها:

- تؤكد الدراسة على أن اللغة العربية هي المفتاح الشرعي لتفسير كلام رب العالمين.

- أبانت الدراسة معنى أصل المادة الدال على عمل اليد، وعلاقتها الوثيقة بتطورها الدلالي في الاتساع وصولاً إلى المعنى الاصطلاحي الذي يدل على إجادة العمل وإتقانه، مما يقرر أن اللغة العربية كائن حي يطرأ عليها التطور الدلالي بشكل ملحوظ.

- ظهرت المناسبة اللفظية والصوتية للمادة، من خلال الصوت الذي يصدره عمل الصانع «صن».

- تؤكد الدراسة على أن القرآن الكريم قد أحسن توظيف مادة «صنع» بما يثري العلمية التفسيرية لكتاب الله، فقد استعمل مادتها في عشرين موضعاً، وتم تناولها باعتبارات متعددة لغوياً وموضوعياً.

- أكدت الدراسة على أن القرآن الكريم له استعمالات خاصة وتصاريف خاصة كان فيها قاطرة للغة العربية فأثراها ووسع مجالاتها.

- وقفت الدراسة على خصائص عديدة للمادة في ضوء القرآن الكريم، كالتناسب السياقي بين اللفظة وسياقها في الموضوع أو الجزاء ونحو ذلك، والشمول السياقي في الاستدلال بالمادة كتوسيع المعنى القرآني لها وفق التطور الدلالي، دون الاكتفاء بالمعنى الأصلي، وتعدد استعمالها في السياق المحمود أو المذموم، والحسية أو المعنوية، ودلالات هذه الاستعمالات صرفياً ونحوياً كاختصاص صيغ المبالغة بالجانب المحمود، ووصفياً كاختصاصها في استعمال حق العلماء دون غيرهم.

- تؤكد الدراسة على اختلاف المفسرين هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ولذلك لم تجد الدراسة صعوبة في الجمع بين العديد من أقوال المفسرين.

- كما وتوصي الدراسة بفتح باب مثل هذه الدراسات الدلالية -التي تعنى بالألفاظ القرآنية- أمام الباحثين فهي فتح جديد وباب واسع نستطيع من خلاله خدمة كتاب الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد ...

# المصادر والمراجع

- ابن أبي شيبة، أبوبكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ت ٢٣٥هـ، المصنف، ت: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا-الرياض، ط الأولى، ١٤٣٦هـ.

- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ت ١٥١هـ، السير والمغازي، ت: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط الأولى، ١٣٩٨هـ.

- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق بن السكيت ت ٢٤٤ه، الألفاظ، ت: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط الأولى، ١٩٩٨م.

- ابن المبارك، عبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ ت ٧٤١هـ، الكنز في القراءات العشر، ت: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

- ابن جني، عثمان بن جني الموصلي ت ٣٩٢هـ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي ت ٦٨١هـ، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م-١٩٩٤م.

- ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن البصري ت ٣٢١هـ، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط الأولى، ١٩٨٧م.

- ابن عثيمين، محمد بن صالح ت ٢٠٠١م، تفسير ابن عثيمين لسورة الشعراء، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٣٦هـ.

- ابن عطية، أبومحمد عبدالحق بن غالب الأندلسي ت ٥٤٢هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، مجمل اللغة، ت: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ه، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١ه، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط الثالثة - ١٤١٤هـ.

- أبو الوفاء، على الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء - المنصورة، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ.

- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ت ٧٤٥ه، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

- أبوداود، سليمان بن الأشعث الأزدي ت ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل بللي، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ.

- أبوهلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل ت ٣٩٥هـ، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري ت ١٤١٤هـ، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.

- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي ت ٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.

- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل ت ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ط الأولى.

- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن ت ٨٨٥هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- التبريزي، الخطيب يحيى بن علي الشيباني ت ٥٠٢هـ، شرح اختيارات المفضّل، ت: د. فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية-بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤١٧هـ، أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ، الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ، ( ٣، ١٢٤٥).

- الخليل الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت١٧٠هـ، معجم العين، ت: د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٤٢٢هـ.

- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي،

عالم الكتب - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله بهادر ت ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى، ١٣٧٦هـ.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس ت ١٣٩٦هـ، الأعلام، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

- الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي ت٥٣٨هـ، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

- السامرائي، فاضل، لمسات بيانية، محاضرات مفرغة، نسخة المكتبة الشاملة.

- السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت ٣٧٣هـ، بحر العلوم، (بدون طبعة ولا تاريخ).

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، معترك الأقران، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

- الشافعي، محمد بن إدريس ت ٢٠٤هـ، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٥٨هـ.

- الشتوي، فهد بن شتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة ام القرى، ١٤٢٦هـ.

- الطبري، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

- العاشور، شاكر، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، وزارة الأعلام، (بدون طبعة ولا تاريخ).

- عبدالرحمن، طه، البحث اللساني، منشورات كلية الآداب بالرابط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦.

- الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين ت ٣٦٠هـ، معجم ديوان الأدب، ت: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور ت ٢٠٧، معاني القرآن، ت: مجموعة محققين، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط الأولى.

- الفناري، شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الرومي ت ٨٤٣هـ، فصول البدائع في أصول الشرائع، ت: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٢٧هـ.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ.

- الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- الحموي، ياقوت بن عبدالله الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ط الثانية، ١٩٩٥م.

- مقاتل، أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ت ١٥٠هـ، تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

- مكي بن أبي طالب، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ت ٤٣٧هـ، مشكل إعراب القرآن، ت: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.

- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ت ١٠٣١هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٥١٨هـ، مجمع الأمثال، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.

- يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.